وما بين النقطتين المستحيلتين ـ لغة الجبر والصمت ـ وما بين النقطتين البريئتين من الواقع والإنسان، وما بين النقطتين المتجردتين من الزمان والمكان، وما بين النقطتين المصمتتين ـ سنضع بحثنا. ولنبدأ بأن نؤكد أن أي نص كتبَته يدُ إنسان هو مجموعة من الدوال التي تشير من خلال علاقاتها الداخلية، إلى مجموعة من المدلولات والعلاقات الخارجية. ولابد أن ثمة أفكاراً كوَّنها هذا الإنسان، كاتب النص، في عقله وقلبه عن مجموعة من الظواهر والعلاقات في الواقع، أراد أن يعبِّر عنها من خلال مجموعة من الدوال «يتصور» أنها في علاقاتها الداخلية تشاكل الواقع (أو المدلول) الخارجي.

مزاوجة الدال بالمدلول:

نقول «يتصوَّر» عن عمد؛ لأن علاقة الدال بالمدلول في الخطاب الإنساني لايمكن أن تكون علاقة ترادف أو تقابل كاملة. فثمة ثغرة قد تضيق أو تتسع تفصل بينهما. ولنضرب مثلاً.. إن قلتُ: «هذه تفاحة حمراء» وعند طرف إصبعي تفاحة حمراء مستديرة ـ ويستحسن أن يكون هناك شخص آخر يستمع إلى ما أقول ـ فإن الثغرة بين الدال والمدلول تكون ضيقة. فالرؤية هنا ضيقة إلى أقصى حد، فلا توجد سوى تفاحة واحدة وإصبع تشير إليها. ومن ثمَّ تتسع العبارة بما فيه الكفاية وتفي بالغرض. ولكن الثغرة مع هذا قائمة. ولعل صديقي كان جائعاً فنظر إلى التفاحة نظرة نهمة، أو لعله كان لا يحب التفاح فنظر إلى التفاحة بعدم اكتراث، ولعل كلمة «حمراء» استدعت في ذهنه أشياء أثارت همومه وأحزانه!

ولكن يمكن أن تتسع الثغرة تماماً، إذ ماذا لو قصصت عليكم قصة تلك التفاحة التي أخبرتني أمي عنها في طفولتي في دمنهور.. تفاحة حمراء تتدلى من أغصان شجرة خضراء في الجنة؟! سأجلس تحت الشجرة بإذن الله ولا أبوح، وإنما يدور في خاطري أنني أريدها فتتدلى بنفسها وتستقر في جوفي من خلال وجداني، تماماً مثلما نزلت في كفي من خلال رغباتي. كانت أمي تضيق بأسئلتي الكثيرة، وتوفيت